مفهوم ومظاهر توظيف ظاهرتي النور والضياء معمارياً وفنياً

" دراسه مقارنه تطبيقاً على نماذج مختارة في مصر والعالم الإسلامي "

ملخص بحث للمشاركة في المؤتمر الدولي الثاني للعلوم عبر العصور

د. غدير دردير عفيفي خليفة

مدرس بقسم الآثار الإسلامية- كلية الآثار- جامعة الفيوم

إن الشمس هبة من هبات الخالق عز وجل لنا فى الكون لكونها المصدر الطبيعي للضياء، الذى يُعتبر أمراً أساسياً في حياة ووجود الإنسان والحيوان والنبات على وجه الأرض. حيث أن الله سبحانه وتعالى فرق بين النور والضياء وذلك بقوله تعالى " **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** " [١]. ومن هنا فقد ميَّز الله سبحانه وتعالى بين إنبعاثات أشعة الشمس وإنعكاسات غلائل القمر فأطلق على الأولى ضياءًا وعلى الثانية نوراً، فالضياء يأتي من الجسم المضيء بذاته بينما النور هو إنعكاس الضياء على الجسم . ومن هنا يُمكن القول أن الضياء هو إشعاع يسير في خط مستقيم ويتحول إلى نور عندما يصطدم بجسم ما ، ولذلك فالضياء إنبعاث مباشر أما النور فهو إنعكاس غير مباشر. ومن الجدير بالذكر أن النور هو الذى يوضح جماليات الفن والعمارة بواسطة تحديد الفراغات الموجودة فى العمارة ، كما يُبدي الفروق بين المستويات المختلفة فى الفنون التطبيقية . وجدير بالذكر أنه كلما خفت الضياء كلما إزدادت القدسية، وينطبق ذلك على تصميم المساجد الأثرية التي تشتمل على صحن وظلات- صحن وإيوانات- مصلى وحرم، ويُعد تدرج الضياء من الأقوى إلى الأضعف(الأقل) ذي تأثير نفسي عميق ويُعطي إنطباعاً وقدراً كبيراً من الخشوع والتضرع ، ولعل ذلك يتمثل في الضياء الشديد

---

(١) قرآن كريم، سورة يونس ، الآية ٥ .

الذى يوجد فى الصحن ، وكذلك الضياء الخافت الذى يوجد فى الظلات أو الإيوانات، وذلك فضلاً عن تأثيره على مظاهر العناصر المعمارية والزخرفية الموجودة بالأماكن سالفة الذكر. وتجدر الإشارة إلى توضيح علاقة اللون مع الضياء ومدى تأثيرهما وتوظيفهما معمارياً وفنياً، فعلى سبيل المثال أنه كلما تركز الضياء على شيء ملون كلما بدى اللون لامعاً وساطعاً والعكس صحيح ، ولعل ذلك يتمثل فى الحجر المشهر؛ فاللون الأحمر يوحي بالقرب ولكنه يقلل حدة الضوء أو بمعنى آخر فإنه يعكس الضياء بشكلٍ أقل ، بينما اللون الأصفر عندما يسقط عليه الضياء يعكس الضياء أكثر من اللون الأحمر ، وقياساً على ذلك يُمكن مُلاحظة مدى تأثير النور والضياء على الأبلق (اللونين الأبيض والأسود).